

هو العليم

سلسلة بحوث ودراسات تحليلية لسيرة أهل البيت عليهم السلام

آخر الأيام والساعات من حياة سيّد الكائنات صلّى الله عليه وآله

البحث الأوّل

مستخرج من كتب وآثار

آية الله العلامة السيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني قدس سره

المحتويات

- ٢ اللحظات الأخيرة من عمر رسول الله و وصيته لفاطمة عليها السلام.
- ٤..... شعر أبي طالب في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله.....
- ٦..... أمر رسول الله بسدّ الأبواب و الإتيان بالكف و الدواة لكتابة الوصية
- ٨..... حزن فاطمة عليها السلام لفقد أبيها
- ١٣ أهمية مقام ولاية رسول الله و خلافته

بسم الله الرحمن الرحيم

آخر الأحداث والبيانات من حياة سيّد الكائنات صلّى الله عليه وآله

اللحظات الأخيرة من عُمر رسول الله ووصيته لفاطمة عليها السلام

قال الشيخ الكبير والمفسر العظيم أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ قدّس الله نفسه صاحب تفسير «مجمع البيان» في كتابه النفيس الممتع «إعلام الوري»: وضع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رأس رسول الله صلى الله عليه وآله في حجره، فأغمي عليه، وأكبّت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ نُبَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وقال بصوت ضئيل: **يَا بُنَيَّةُ! هَذَا قَوْلُ عَمِّكَ**

أَبِي طَالِبٍ، لَا تَقُولِيهِ! وَلَكِنْ قُولِي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ .

فبكت طويلاً فأوماً إليها بالدنو منه، فدنت إليه، فأسرَّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها. (١) ثمّ قضى و يد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها. ثمّ وجهه وغمّضه ومدّ عليه إزاره واشتغل بالنظر إلى أمره.

فسئلت: **ما الذي قال لك رسول الله فسرى عنك؟! قالت: أخبرني أنّي أول أهل بيته لحوقاً به وأنه لن تطول المدّة بي بعده حتى أدركه فسرى ذلك عني.** (٢)

و من الواضح هنا أنّ رسول الله لم يُردّ أن يمنع فاطمة من حقيقة و مفاد الشعر الرفيع الذي أنشده أبو طالب عليه السلام. بل أراد أن يُشعرها بأنّ يوماً عصيباً ينتظرها، وأنّ الراجعين عن الإسلام سوف يقتلونهم ويغصبون حقّها وحقّ بعلها، وكلّهم سيعودون إلى البربريّة والجاهليّة حسب هذه الآية. وأتّها و بعلها عليّ بن أبي طالب من الشاكرين، وأنّ ذيل الآية: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ سيكون لهما.

كيف يمكن أن تصوّر أنّ رسول الله يمنع بنته من شعر حاميّه و معينه و ناصره الوحيد في مكّة في حين أنّه عندما ذكر شعر أبي طالب سرّ سروراً بالغاً حتى ضحك من شدّة السرور والفرح؟

(١) روى البخاريّ في صحيحه، ج ٦، ص ١٠، طبعة بولاق، باب مرض النبيّ من كتاب النبيّ بسنده عن عائشة قالت: دعا النبيّ صلى الله عليه و آله فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه، فسارّها بشيء فبكت. ثمّ دعاها فسارّها بشيء فضحكت. فسألنا عن ذلك، فقالت: سارّني النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه يقبض في وجهه الذي توفيّ فيه فبكت. ثمّ سارّني فأخبرني أنّي أول أهله يتبعه فضحكت.

(٢) «إعلام الورى بأعلام الهدى» ص ١٤٣. و ذكرها الشيخ المفيد أيضاً في «الإرشاد» ص ١٧٣، طبعة إسلاميّة الحديثة سنة ١٣٦٤ هـ. ش. وروى ابن سعد في طبقاته، ج ٢، ص ١٩٣، بسنده عن ابن عبّاس أنّه لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمة فقال: إنّني نُعيّت إليّ نفسي. قالت: فبكيْتُ. فقال: لا تبك فإنّك أول أهلي بي لحوقاً فضحكت. و قال رسول الله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ و جاء أهل اليمن و هم أرقّ أفئدة و الإيذان يُبان، و الحكمة بيانيّة. (فاستعدّ للارتحال إلى ربّك بالحمد و التسبيح و الشاء، فهو التوّاب الغفّار).

شعر أبي طالب في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله

ذكر علي بن عيسى الإربلي في باب معجزات رسول الله أن من معجزاته نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وآله، وذلك حين شكوا إليه أهل المدينة فدعا الله، فمطروا حتى أشفقوا من خراب دورها فسألوه في كشفه، فقال: **اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَ لَا عَلَيْنَا**. فاستدار حتى صار كالإكليل و الشمس طالعة في المدينة، و المطر يجيء على ما حولها يرى ذلك مؤمنهم و كافرهم. فضحك صلى الله عليه وآله و قال: **لله درُّ أبي طالبٍ لو كان حياً قرَّت عيناهُ**. فقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و قال: **يا رسول الله! كأنك تريد قوله:**

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامَ بِوَجْهِهِ
ثَمَّالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
يَطُوفُ بِهِ الْمَلَائِكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَ فَوَاضِلِ

و أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال: ربما ذكرت قول أبي طالب و أنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر يستسقي. فما ينزل حتى يحيش كلُّ ميزاب:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامَ^(١) بِوَجْهِهِ
ثَمَّالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

و روى البيهقي في «دلائل النبوة» عن أنس أن أعرابياً جاء فقال: يا رسول الله! لقد أتيناك ما لنا بعيرٌ ينطُّ^(٢)، و لا صبي يصيحُ. فصعد صلى الله عليه وآله المنبر ثم رفع يديه فقال:

(١) قال في «جامع الشواهد»: الغمام منصوب بنزع الخافض. يعني: من الغمام - انتهى. فيكون قوله: «بوجهه» نائب فاعل للفعل المجهول: يُسْتَسْقَى.

(٢) «الأمالي» للمفيد: ينطُّ. و أظ الإبل: حنَّت.

اللَّهُمَّ اسْقِنَا عَيْشًا مُغِيثًا، مَرِيئًا مَرِيعًا، غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَابِثٍ،^(١) نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ! فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ فِي نَحْرِهِ حَتَّى أَلْقَتِ السَّمَاءُ بِأَرْدَافِهَا، وَجَاؤُوا يَضْجُونَ: الْغَرَقُ الْغَرَقُ.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه، ثم قال: **لله دُرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيًّا قَرَّتْ عَيْنَاهُ، مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ؟** فقام عليّ عليه السلام فقال: **يا رسول الله! كأنك أردت قوله:**

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَّ بِوَجْهِهِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

و قال السيوطي أيضاً: هذا من قصيدة لأبي طالب يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله ويصف تمالاً قريش عليه، وأولها:

وَمَا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ فِيهِمْ
وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

إلى أن قال:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بُنْزِي مُحَمَّدًا
وَنُسَلْمُهُ حَتَّى نَصَرَ حَوْلَهُ
وَلَمَّا نَطَاعِنُ حَوْلَهُ وَنَنَاضِلِ
وَنَذْهَلُ عَنْ أُنْبَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

وقال:

وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ لَا أَبَالَكَ سَيِّدًا
يُحِوْطُ الذَّمَّارَ فِي مَكْرٍ وَنَائِلِ^(٢)

و أضاف العلامة الأميني بعد البيتين اللذين يبدآن بقوله: و أبيض... و يلود به الهلاك...

هذا البيت:

(١) وفيه أيضاً: غير راث، و راث: أبطأ.

(٢) شرح شواهد المغني «للسيوطي»، ج ١، ص ٣٩٥ إلى ٣٩٨.

وَمِيزَانُ عَدْلٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً وَوَزَانُ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ هَائِلٍ

يستبين من هذه المطالب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحبّ السيّد أبا طالب حبّاً شديداً، وكان يهتمّ بشعره اهتماماً تاماً، بيدّ أنّه كان يرى في تلك المرحلة العصبية - وهو على فراش الموت - وقائع مُقلّقة إلى درجة أنّ شعر أبي طالب يُنسى معها.^(١)

هل يمكن أن نتصوّر خطراً أكثر من طعن رسول الله بالهذيان والتخريف؟ ومن ثمّ عزل وليّ الدين الأعظم عليّ المرتضى سيّد الوصيّين أحد الثقلين عن رئاسة المسلمين و زعامتهم؟ والتجروء على ساحة الرسول الأكرم بوصفه بالهجر حين طلب كتفاً و دواة ليُحکم أمر عليّ، ويعلن للناس وصايته بتعليقات خطيّة مؤكّدة، ناهيك عن خطبه و كلماته التي كان يُدلي بها! وإثارة الضجّة برفع الصوت عالياً بكلمة: كَفَانَا كِتَابُ اللَّهِ، و إكثار اللغظ و الجلبّة و الضوضاء؟ و إيذاء رسول الله و إعناته، ليفارق الدنيا مغموماً مهموماً حزيناً، بعد ثلاث و عشرين سنة من القيام بمهمّة النبوة؟

أمر رسول الله بسدّ الأبواب و الإتيان بالكف و الدواة لكتابة الوصيّة

قال ميرخواند - وهو سنّي المذهب - في «روضة الصفا»: قالت أمّ سلمة: شدّ رسول الله على رأسه المبارك عصابة أيّام مرضه، و صعد المنبر، و استهلّ كلامه بالاستغفار لشهداء أحد، ثمّ

(١) كان الدليل الواضح على أنّ قصد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من عدم قراءة شعر أبي طالب، و تلاوته هذه الآية، لفت أنظار المسلمين إلى ارتداد و كفر طلاب السلطة من الصحابة. فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنيّة في مقام و شأن و عظمة النبيّ و المؤمنين الحقيقيّين، كآية ٢٩ من السورة ٤٨: الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ .. إلى آخر الآية. و الآية ٢ من السورة ٤٧: محمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَرَّرْنَا عَنْهُمْ سِتْرَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾. و حيثنّذ ما هو الداعي لرسول الله أن يغضّ الطرف عن تلاوة هذه الآيات، و يقرأ آية تدلّ على ارتداد الصحابة و كفرهم بعد وفاته؟

أمر بسدّ أبواب الصحابة الشارعة في المسجد إلّا باب عليّ. و قال: لا بدّ من صحبته لي وصحبتني له.

قال عمر: يا رسول الله! إئذن لي أن أدع خوخة أرى فيها خروجك من البيت إلى المسجد! فلم يأذن له. فقال أحد الصحابة: يا رسول الله! ما هو المراد من فتح الأبواب؟! وما سبب سدّها؟ قال: ما بأمرني سدّها ولا بأمرني فتحها.

(إلى أن قال): روى علماء السير أنّه لما اشتدّت العلة برسول الله و كان أصحابه مجتمعين حوله في حجرته قال: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده. فاختلفوا، فمن قائل: قربوا يكتب لكم. و من قائل: هل هذا كلام من اشتدّ به المرض، أم كلام جدّ؟ فقال عمر: غلب على رسول الله الوجد. عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله. فمنهم من أيّد عمر، و منهم من أصرّ على خلافه و قالوا: قربوا له ما أراد، فاخصموا، و علت الأصوات في مجلسه المبارك، و تجاوز الاختلاف حدّ الاعتدال.

فقال النبيّ الأقدس صلى الله عليه و آله: قوموا، لا ينبغي عند نبيّ نزع! و مع ذلك قال: أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب! و أجزوا الوفد بنحو ما كنت أجزهم. روى سليمان هذا عن سعيد بن جبير و قال: لا أعلم، لم ير سعيد بن جبير مصلحة في ذكر الثالثة، أو أنّه ذكرها لكنّ عنكب النسيان نسجت خيوطها في خاطري؟

قال ابن عباس: الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله و بين أن يكتب لهم.^(١) [إلى أن قال:] قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أوصى النبيّ في مرضه الذي مات فيه. و لما فرغ، نزلت سورة النصر. قلت: يا رسول الله! هذه وصية المودّعين؟

(١) هذه المطالب كلّها التي ذكرها مير خواند في «روضه الصفا» أوردها مير خواند في «حبيب السير»، ج ١، ص ٤١٩. و قال أيضاً: يرى علماء الشيعة أنّ سبب رفض الصحابة كتابة الكتاب هو أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله أراد أن يكتب وصية في ولاية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه. و البيتان الآتيان الواردان في كتاب «كشف الغمّة» يُشعران بهذا المعنى:

قال: نعم يا علي! ضاق صدري من هذه الدنيا. ثم اتكأ، و أغمض عينه لحظة. و لما أفاق
قال: يا جبرئيل! خذني وفِ بما وعدتني! ثم دعاني إليه و وضع رأسه المبارك على منكبي،
وشحب لون وجهه الميمون، و تصبّب جبينه عرقاً.

حزن فاطمة عليها السلام لفقد أبيها

ولما رأت فاطمة ما به، قامت لجزعها، و أخذت بأيدي الحسنين و صاحت: يا أبتاه! من
يرحم حال ابنتك فاطمة بعدك؟ و من يواسي ولديك الحسنين؟! و من يحفظ أفواج الناس
القادمين من أطراف الآفاق؟ يا أبتاه! بنفسي أنت! ويل أذني التي لن تسمع كلامك الطيب،
وويل عيني التي لن ترى وجهك الحسن!

و لما سمع النبي الأقدس صلى الله عليه و آله أنين فاطمة، فتح عينيه و دعاها إليه و
وضع يده المباركة على صدر ابنته العزيزة وقال: **اللهم اربط على قلب فاطمة!** ثم قال لها:

أبشري، فأنت أول أهلي لحوقاً بي!

قال علي عليه السلام: قلت: يا فاطمة! اسكتي و لا تذرني الملح على جرح رسول الله!
فقال النبي: دعها تذر فدموعها على أبيها! ثم أغمض عينيه المتعبتين. و قالت فاطمة للحسنين:
قوما و اتبوا أباكم الرحيم! لعله ينضحكم بما يسكن قلوبكم. فامتثل قرتا عين الزهراء كلام أمهما،
و جاء عند رسول الله. فقال الحسن: يا أبتاه كيف نصبر على فراقك؟! و من الذي نودعه
أسرارنا؟! و من يرحمنا أنا و أخي و أبي بعدك؟!...

قَدْ ضَلَّ يَهْجُرُ سَيِّدَ الْبَشَرِ
يَهْجُرُ وَقَدْ أُوصِيَ إِلَى عَمَرِ

أَوْصَى النَّبِيُّ فَقَالَ قَائِلُهُمْ
وَأَرَى أَبَا بَكْرٍ أَصَابَ وَ لَمْ

قال علي بن أبي طالب: فبكيتُ جزعاً...^(١)

و قال رسول الله لعائشة: يا عائشة! عليك أن تجلسي في ركن بيتك، و تمسكي بعروة

الصبر و الستر و الحفظ الوثقى كما قال الحقّ تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢)

قال هذا الكلام و بكى بكاءً سجرت به نار المصيبة عند الجميع. قالت أم سلمة: ممّ

بكاؤك و قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟!!

قال: **إِنَّمَا بَكَيْتُ رَحْمَةً لِّأُمَّتِي**. ثمّ بشر فاطمة، فسألته: أين أجذك يوم الفزع الأكبر؟! قال:

تجديني على باب الجنّة تحت لواء الحمد، و أنا مشغول باستغفار الرحمن من ذنوب أمّتي....

و وقف عزرائيل على باب حجرة رسول الله المباركة بهيئة أعرابي، و قال: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ**

يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَ مَوْضِعِ الرَّسَالَةِ! أتأذنون لي بالدخول رحمكم الله؟!!

و كانت فاطمة الزهراء جالسة على فراش أبيها، فقالت: رسول الله مشغول بنفسه فلا

تيسّر زيارته الساعة.

ثمّ استأذن ملك الموت ثانية فسمع الجواب نفسه. و في الثالثة رفع صوته عالياً حتى

رجف لهيبته كلّ من كان حاضراً في المنزل المقدّس.

(١) روى سليم بن قيس في كتابه ص ٢١٣، (الطبعة الثالثة، النجف) عن ابن عباس أنّه قال: سمعت حديثاً من عليّ عليه السلام لم أفهم معناه، سمعته يقول: **إنّ رسول الله أسرّ إليّ في مرضه و علّمني مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب**. و إنّني لجالس بذي قار في فسطاط عليّ و قد بعث الحسن و عمّاراً يستنفران الناس إذ أقبل عليّ عليه السلام فقال: **يا ابن عباس! يقدم عليك الحسن و معه أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين**. فقلت في نفسي: إن كان كما قال فهو من تلك الألف باب. فلمّا أظننا الحسن بذلك الجند استقبلت الحسن، فقلت لكاتب الجيش الذي معه أساؤهم: كم رجل معكم؟ فقال: أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين.

(٢) الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأحزاب. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾. هذه الآية تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله. و أشار رسول الله قائلًا لعائشة و هو ينصحها: ما أنت و حرب الجمل و ركوبك الجمل تقودين الجيش في ساحة القتال؟! قري في بيتك أيّتها المرأة و لا تخرجي من قعره طاعة لهواك، و طلباً للرئاسة، و حقداً دفيناً على عليّ عليه السلام!

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله مغمياً عليه في تلك الساعة، فأفاق، و فتح عينيه المباركتين و سأل: ما خطبكم! فأخبروه. فقال: **يا فاطمة! هل علمت مع من تكلمت!** قالت: **الله و رسوله أعلم.**

قال: **هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ، هَادِمُ اللَّذَاتِ، وَ قَاطِعُ الْأُمْنِيَّاتِ، وَ مُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، وَ مُرْمَلُ النِّسَاءِ، وَ مُيْتِمُ الْأَوْلَادِ.**

و لما سمعت فاطمة ذلك قالت: **يَا مَدِينَتَاهُ! خَرَبَتِ الْمَدِينَةُ.**

فأخذ رسول الله يدها و ضمها إلى صدره المبارك، و لم يفتح عينيه برهة فظنّ الحاضرون أنّ روحه عرجت إلى ذي العرش. فهمست فاطمة في أذنه قائلة: **يَا أَبَتَاهُ!** فلم تسمع شيئاً، فقالت: **روحي لك الفداء! انظر إليّ و حدثني!**

ففتح صلى الله عليه وآله عينيه و قال: **يا بُنَيَّتِي! دعي عنك البكاء فإنّ حملة العرش سيكون لبكائك. و نكفّ الدمع عن وجه عزيزته بيده، و اهتّم بتسكينها و بشرها و قال: اللهم منّ عليها بالصبر لفراقي! و قال لها: إذا قبضت روحي فقولي: **إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.** يا فاطمة! إنّ كلّ من أصابته مصيبة سيرى عنها عوضاً.**

قالت فاطمة: **يا رسول الله! من يكون و ماذا يكون عنك عوضاً؟! ثمّ أغمض عينيه مرّة أخرى، فقالت فاطمة: و آكرباه! فقال رسول الله: لا كرب و لا غمّ على أبيك بعد اليوم. أي: أنّ الحزن و الاضطراب اللذين يسيطران على الإنسان سببهما التعلّقات الجسمانيّة، و الآن قطعت علائق البشريّة، و تناهى إلى الأسماح النداء المتمثّل بقوله تعالى: ﴿إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾. و ستسرع الروح اللطيفة الوديعّة إلى جوار رحمة ربّ العالمين. و قد شوهد الرّوح و الريحان و جنة النعيم، فلن تبقى حسرة و حزن و ألم.^(١)**

(١) ذكر آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ بعض المطالب في كتابه القيم «النصّ و الاجتهاد» ص ٩٣ إلى ٩٥، الطبعة الثانية، في المتن و

التعليقة، و محصلها:

و يواصل ميرخواند الموضوع فيقول: لما دُفن رسول الله، و رجع أصحابه من قبره، جاؤوا إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام و عزّوها. فسألتهم قرّة عين النبيّ: دفتموه؟! قالوا: نعم! قالت: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا عليه التراب؟! إنّه نبيّ الرحمة! قالوا: يا بنت رسول الله! نحن أيضاً محزونون لهذا المصاب، ولكن لا بدّ من التسليم لحكم الباري سبحانه و تعالى.

أولاً: إنّما فاطمة الزهراء سلام الله عليها بمثابة من القدس تعدل بها مريم ابنة عمران بحكم النصوص الصريحة في السنن المتضافرة الصحيحة، فمنها ما أخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» وغيره من أعلام أئمتهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عاها و هي مريضة. فقال: كيف تجدنيك يا بئبة؟ قالت: إنّني لوجعة و إنّه ليزيدني أيّ ما لي طعام أكله. قال: يا بئبة! أما ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين؟! قالت: يا أبة! فأين مريم ابنة عمران؟! قال: تلك سيّدة نساء عالمها و أنت سيّدة نساء عالمك! أما والله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة... إلى آخر الحديث.

ثانياً: أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم ابنة عمران. و تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ منه عند أئمة العترة الطاهرة و أوليائهم من الإمامية و غيرهم. صرح بأفضليتها على سائر النساء حتى السيّدة مريم كثير من محققي أهل السنّة و الجماعة كالنبيّ السبكيّ، و الجلال السيوطيّ، و البدر، و الزركشيّ، و التقيّ المقرزيّ، و ابن أبي داود، و المناويّ فيما نقله عنهم العلامة النبهانيّ في فضائل الزهراء، ص ٥٩ من كتابه «الشرف المؤبد». ثالثاً: أنّ فاطمة، و مريم، و خديجة، و آسية أفضل نساء الجنّة. أخرجه الإمام أهد من حديث ابن عباس في ص ٢٩٣ من الجزء الأوّل من مسنده. و رواه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب»، و قاسم بن محمّد كما في ترجمة الزهراء من «الاستيعاب» أيضاً. رابعاً: أنّ فاطمة و الثلاث خير نساء العالمين. أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب» بالإسناد إلى أنس. و رواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمة الزهراء، و خديجة من «الاستيعاب».

خامساً: أنّ فاطمة سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة. أخرجه البخاريّ في ص ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه، و مسلم في باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه، و الترمذيّ في الصحيح، و صاحب «الجمع بين الصحيحين»، و صاحب «الجمع بين الصحاح الستّة»، و الإمام أحمد من حديث الزهراء ص ٢٨٢ من الجزء السادس من مسنده، و ابن عبد البرّ في ترجمتها من استيعابه، و محمّد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته، و في باب ما قاله النبيّ في مرضه من المجلّد الثاني من «الطبقات الكبرى» أيضاً. و اللفظ الذي ذكره الآن هو للبخاريّ في آخر ورقة من كتاب الاستئذان، من الجزء الرابع من صحيحه، قال: حدّثنا موسى عن أبي عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، قال: حدّثني عائشة أمّ المؤمنين، قالت: إنّنا كنّا أزواج النبيّ عنده جميعاً لم تغادر مناّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآها رحّب، و قال: مرحباً بابنتي، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارت فبكت بكاءً شديداً. فلما رأى حزنها، ساّرها الثانية، إذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نساته: خصّك رسول الله بالسّرّ من بيننا، ثمّ أنت تبكين؟! فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها: عمّ ساّرك؟ قالت: ما كنت لأفشي - على رسول الله سرّه. فلما توفّي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لما أخبرتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني.

قالت: أمّا ساّرتني في الأمر الأوّل فإنّه أخبرني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة، و أنّه قد عارضني به العام مرّتين، و لا أرى الأجل إلّا اقترب، فاتقي الله و اصبري، فإنّي نعمّ السلف أنا لك! فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي، ساّرتني الثانية، قال: يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو نساء هذه الأمة؟! فضحكّت.

علماً أنّ السيّد شرف الدين ذكر هذين الحديثين أيضاً في كتابه الآخر: «الكلمة الغراء» ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

و جاء في «مقصد أقصى» (= المقصد الأقصى): كلما نظرت فاطمة إلى الحسن و الحسين، تحسرت و تأوّهت ليتم ولديها حتى تشبّ النار من قلبها، و يبكي الناس دماً لمصائبها، و [كأن]^(١) الأحاب و الأصحاب جميعهم يكون معها و ينشدون هذه الأبيات في مخاطبة سيّد الكائنات و خلاصة الموجودات:

اي خواجه! زين شكسته دلان تا چه ديده‌اي	کز ما رمیده جای دگر آرمیده‌ای!
نشاختيم قدر تو أي ساية خدای	زان روی سایه از سر ما در کشیده‌ای
این تنگنای فرش چو در خور تو نبود	مسکن فراز عرش مُعلاً گزیده‌ای
بی بدرقه به کوی وصالش گذشته‌ای	بی واسطه به حضرت خاصش رسیده‌ای
تو مرغ آشیانه قدسی! غریب نیست	گرباز ازین قفس سوی گلشن پریده‌ای
ما را شهامه‌ای بفرست أي گل امید	زان شمّه کز ریاض حقایق شنیده‌ای
در کام جان تشنه دلان جرعه‌ای بریز	زان خمر بی خمار که از حقّ چشیده‌ای ^(٢)

[(١) تمت إضافة عبارة [كأن] من الهيئة العلمية في هذا البحث ليتناسب المعنى العربي مع ما هو مكتوب في الأصل، وهي لم تكن موجودة في الأصل العربي المطبوع!]

(٢) - «روضة الصفا» الجزء الثاني من الطبعة الحجرية، باب وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله؛ و كذلك ذكر مير خواند أحوال النبي أيام مرض موته في «حبيب السير» ج ١، ص ٤١٩ إلى ٤٢٢.

يقول: «أيها السيّد العظيم! ماذا رأيت منّا نحن البائسين فتركتنا و ذهبت إلى مكان آخر؟ ما عرفنا قدرك يا ظلّ الله و لهذا منعت عنّا ظلّك.

لم يلق بك هذا العالم الضيق فاخترت الإقامة في العرش الأعلى.

مضيت إلى وصاله بلا وداع، و بلغت ساحة قدسه الخاصة بلا واسطة.

ولا غرو فأنت طائر عشّه القدسيّ، إذ حلقت ثانية من هذا القفص إلى الرياض.

أفض علينا شيئاً من العبير الفوّاح يا زهرة الرجاء ممّا تعطّرت به من رياض الحقائق.

و اسكب في أفواه الظالمين جرعة من ذلك الخمر الذي ذقته من الحقّ و ليس فيه صداع».

أهميّة مقام ولاية رسول الله و خلاقته

أجل، إنّ محنة رسول الله في مرضه الذي مات فيه يعود معظمها إلى رحمته بالمسلمين، إذ كان يرى أمّته بلا راعٍ، و كان يدرك و يفهم جيّداً الخطط المدروسة المدبّرة لعزل أمير المؤمنين عليه السلام، و ترك الأُمّة بلا إمام و ولي.

و كان صلى الله عليه و آله يرى كالشمس الساطعة أنّ خلود نبوّته و حراستها و تثبيت القرآن و تعزيزه منوطان بوجود عليّ بن أبي طالب. و إذا كبراء القوم و رموزهم قد شدّوا عقد مآزرهم بخطط مريية لاقتلاع هذه الشجرة و التربّع على مسند الإمامة. و الويل للأُمّة التعسّية إذا ولي أمورها إنسان غير بصير و غير مطّلع.

و إذا حلّ الغراب و الحدأة محلّ البلبل في روضة النور و الوحدة و العرفان و المعرفة، ويسجن الطائر الغرّيد المحلّق في روضة العلم و الدراية و البصيرة في القفص مهيض الجناح. و يجلس الجلّادون و الصيادون المتربّصون على أريكة الأمر و النهي و الحكومة باسم النصراء و الحماية و الناصحين و المتحمّسين و الأحماء، و يبدّلون النبوة إلى حكومة و رئاسة ظاهرية.

و كان أبوبكر، و عمر، و عثمان، و عبيدة بن الجراح، و المغيرة بن شعبه، و أسيد بن حُصير، و خالد بن الوليد، و قنّذ بن عمير، و سالم مولى أبي حذيفة من الأشخاص المعروفين الذين تحبّطوا كالمجانين لإطفاء نور الولاية.^(١)

(١) روى الشيخ المفيد في أماليه، طبعة جماعة المدرّسين، ص ٤٩ و ٥٠، بسنده المتّصل عن مروان بن عثمان أنّه قال: لما بايع الناس أبا بكر دخل عليّ عليه السلام، و الزبير، و المقداد بيت فاطمة عليها السلام، و أبوا أن يخرجوا فقال عمر بن الخطّاب: اضموا عليهم البيت ناراً. فخرج الزبير و معه سيفه. فقال أبوبكر: عليكم بالكلب. فقصدوا نحوه، فزلّت قدمه و سقط إلى الأرض و وقع السيف من يده. فقال أبوبكر: اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر. و خرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية (كلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها و عمائرها إلى تمامة فهو العالية. و كلّ ما كان دون ذلك فهو السافلة) فلقية ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟! فقال: أرادوا أن يحرقوا عليّ بيتي و أبوبكر على المنبر يبيّع و لا يدفع عن ذلك و لا ينكره. فقال له ثابت: لا تفارق كفيّ يدك حتى اقتل دونك! فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة، و إذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها، و قد خلت دارها من أحد من القوم و هي

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من كتاب معرفة الإمام ج ١٣، تأليف المرحوم العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه، وقد تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة العلمية في لجنة الترجمة والتحقيق، و تجدر الإشارة إلى أنّ العبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلمية]

تقول: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه و آله جنازة بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا و صنعتم بنا ما صنعتم و لم تروا لنا حقاً.